Biannual Research Journal
AL-IDAH
Published by
SHAYKH ZAYED ISLAMIC CENTRE
UNIVERSITY OF PESHAWAR
PESHAWAR PAKISTAN
ISSN (Print) : 2075-0307
ISSN (Online) : 2664-3375
OPEN ACCESS
شعبہ ای تحقیقی مجلہ
الایضاح
مرکز الشیخ زاید الاسلامی جامعہ پشاور
www.al-idah.pk
VOL:43 ISSUE:II
July-Dece 2025

سياسة عثمان بن عفان وتداعياتها السياسية

The Policies of ʿUthmān ibn ʿAffān and Their Political Implications

Issue: *https://www.al-idah.pk/index.php/al-idah/issue/view/43*
URL: *https://www.al-idah.pk/index.php/al-idah/article/view/950*
Article DOI: *https://doi.org/10.37556/al-idah.043.02.0950*

Author (s):
Anass Bousselam
Hassan II University, Casablanca – Morocco, Email: *Anassbou352@gmail.com*

How to Cite **:** *Anass Bousselam 2025. The Policies of ʿUthmān ibn ʿAffān and Their Political Implications. Al-Idah . 43, -2 (Dec. 2025), 157 - 169.*

Publisher **:** *Shaykh Zayed Islamic Centre, University of Peshawar, Al-Idah . 43, -II (Dec. 2025), 157 - 169.*

Article History:

Received on:	***22 – Oct - 2025***
Accepted on:	***11 – Dec- 2025***
Published on:	***31 – Dec- 2025***

This work is licensed under a Creative Common Attribution 4.0 International License
Author(s) declared no conflict of interest

Abstract & Indexing

Islamic Research Index
Australian Islamic Library
Crossref
DOAJ Directory of Open Access Journals
International Scientific Indexing
Index Copernicus International

Abstract

This study examines the policies of Caliph ʿUthmān ibn ʿAffān within the historical context of his accession to the caliphate and the subsequent political developments. The research analyzes his governance strategies and administrative decisions, exploring their impact on the socio-political landscape of the early Islamic state. Furthermore, the study investigates the events of the revolution and opposition against him, providing a critical reading of the circumstances that led to unrest. The research concludes by addressing the controversial question of whether the Great Fitnah (civil strife) was orchestrated by external actors, such as Jews and hypocrites, or whether it stemmed from internal political tensions.

Keywords: *ʿUthmān ibn ʿAffān; Governance; Political Policies; The Great Fitnah; Early Islamic History.*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الملخص

بعد استعراض ظروف وحيثيات بيعة عثمان بن عفان، نتناول بالدراسة والتحليل سياسة هذا الخليفة ثم نجري قراءة في أحداث الثورة ضده ونختم البحث بالإجابة عن التساؤل الآتي: هل كانت الفتنة الكبرى من تدبير اليهود والمنافقين؟

الكلمات المفتاحية: عثمان بن عفان، سياسة عثمان بن عفان، الفتنة الكبرى.

مقدمة

مازال العهد العثماني يطرح إلى يومنا هذا مجموعة من التساؤلات من قبيل: هل كانت سياسة عثمان بن عفان سببا في ثورة بعض أهل الأمصار ضده؟ وهل كان فعل البغاة بقتل الخليفة أمرا مشروعا؟ ونتيجة لذلك، فقد اختلفت في قراءة هذا العهد الآراء والتحليلات. وبدورنا، سنحاول تقديم قراءة تحليلية نقدية في الموضوع مستحضرين في ذلك المنهج التاريخي فضلا عن المنهج التحليلي.

١ – بيعة عثمان بن عفان

من خلال التمعن في تفاصيل بيعة عثمان بن عفان، يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

– رغبة معظم المرشحين[١] الذين اختارهم عمر في تولي منصب الخليفة ورفضهم أن يكونوا حكما، حيث قال عبد الرحمان بن عوف مخاطبا إياهم: "أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلَكم؟ فلم يجبه أحد، فقال: فأنا أخلع منها"[٢].

– تحفظ علي بن أبي طالب على اختيار عبد الرحمان بن عوف نفسه حكما مقابل ترحيب المرشحين المتبقين، فقد أورد الطبري أن ابن عوف قال: "أنا أخلع منها، فقال عثمان: أنا أول من رضي،... فقال القوم قد رضينا – وعلي ساكت – فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: أعطني موثقا لتؤثرنّ الحق ولا

تتبع الهوى، ولا تخص ذا رحم، ولا تألوا الأمة"[٣]، أي أن بن عوف لم يباشر مهمة الاختيار حتى أخذ عليه علي العهود والمواثيق على أن لا يميل مع الهوى ولا يتأثر بقرابته من سعد بن أبي وقاص أو مصاهرة عثمان بن عفان، ولا يألوا المسلمين نصحا.

– بعد أن قام عبد الرحمان بن عوف بمشاوراته تبين أن أعضاء مجلس الشورى ينقسمون إلى قسمين أحدهما يختار عليا والآخر يختار عثمان، وكلا المرشحين يوكل الآخر عن نفسه، وكل فريق بنى اختياره على معايير معينة، فالذي رفض عليا نظر إلى الأمر من ناحية صرامته وشدته، وبالتالي تخوف أن يكون عهده استمرارا لعهد عمر، وذهب بعض الدارسين المحدثين إلى أن أصحاب هذا الفريق رأوا استلام علي السلطة انتصارا دائما للتيار الهاشمي الذي ظهر في حلف الفضول وانتصر بنجاح النبي عليه الصلاة والسلام ثم طعن يوم السقيفة[٤].

أما الفريق الذي اختار عثمان، فقد رأى في خلافته تحقيقا لميول الأرستقراطية القرشية التي تم كبحها في عهد عمر، وذلك ما وقع فعلا حيث إن بني أمية، وكذالك الصحابة استغلوا ليونة هذا الخليفة ومرونته واقتنوا الضياع والأراضي واكتسبوا الأموال، وهو الأمر الذي كانت له نتائج خطيرة فيما بعد على مصير الخلافة الإسلامية.

– رفض علي بن أبي طالب القرار التحكيمي لابن عوف، ففي اليوم الثالث من وفاة عمر حضر عبد الرحمان بن عوف إلى المسجد في صلاة الصبح، حيث كان المهاجرون والأنصار، وبعد أن تبين لابن عوف والجميع الانقسام حول الخليفة المرتقب، وبعد أن اشتد التلاسن بين الناس بالمسجد النبوي (ينظر مثلا ما قاله سعيد بن زيد وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود ورد عبد الله بن أبي سرح وعبد الله بن أبي ربيعة)[٥]، "قال سعد بن أبي وقاص: يا عبد الرحمان، افرغ قبل أن يفتن الناس، فقال عبد الرحمان: إني نظرت وشاورت، فلا تجعلُنَّ أيها الرهط على أنفسكم سبيلا. ودعا عليا، فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده؟ قال: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي، ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي، قال: نعم، فبايعه، فقال علي: حبوته حبو دهر، ليس هذا أول يو م تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما ولّيت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل يوم هو في شأن، فقال عبد الرحمان: يا علي لا تجعل على نفسك سبيلا، فإني قد نظرت وشاورت الناس، فإذا هم لا يعدلون بعثمان. فخرج علي وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله"[٦]. وذكر الطبري أنه بعد أن "ازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه عند المنبر،... تلكّأ علي، فقال عبد الرحمان: (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما)، فرجع علي يشق الناس، حتى بايع وهو يقول: خدَعةٌ وأيَّما خدَعة!"[٧].

– يرى بعض الباحثين أن جواب عثمان الإيجابي على سؤال عبد الرحمان بن عوف هو الذي أهله لهذا المنصب في ظل تذبذب جواب علي، وبالتالي إقصاؤه من تسيير أمور المسلمين، لكننا نختلف مع هذا

الرأي، فالمتمعن في جواب علي يستشف أنه الأدق والأكثر حكمة وحصافة من الناحية الدينية والسياسية، ذلك أن عليا يعي أن الاقتداء بسيرة أحد يظل أمرا نسبيا ولا يمكن أن يكون اقتداء تاما وإنما قدر المستطاع وهذا ما قصده من عبارة "أرجو أن أفعل"، كما أن المسلمين قد يعرفون مستجدات وأحداثا ليس لها تشريع أو حكم ظاهر في كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفتين من بعده وهذا يقتضي اجتهادا من الخليفة أو الحاكم وفق ما يبدو له مناسبا وملائما وهذا ما نفهمه من عبارة علي: "وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي".

– يرى البعض أن من رفضوا خلافة علي تخوفوا من استمرار سلطة بني هاشم عليهم، وبالتالي فإن إبعاد هذه الأسرة عن الخلافة يجعلها متداولة بين الناس، هذا ما نفهمه من كلام علي بن أبي طالب: "إن الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر إلى بيتها فتقول: إن ولِّي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبدا، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم"[٨].

– من الملاحظ، أيضا، أن المرشحين للخلافة في مجلس الشورى قد اقتصروا على المهاجرين دون الأنصار، وهذا يذكر بقول أبي بكر في السقيفة نحن الأمراء وأنتم الوزراء، أي حصر الخلافة في قريش دون غيرها وحصر دور الأنصار في المشورة فقط، ولكنهم في هذه المرة لم يرشحوا حتى لهذه الوظيفة الأخيرة، وقد يفسر من تستهويهم النظرية الخلدونية هذا الأمر بتغلب عصبية قريش، ومن ثم كان من الضروري أن يكون الأمر فيها، لكن هذا الفهم يغيب عنه استحضار مجموعة من العوامل والاعتبارات منها عدم الأخذ بعين الاعتبار الجوانب الدينية للموضوع والتي تجعل عناصر الشرعية كالسابقة والقدم والفضل في جانب المهاجرين أكثر من الأنصار.

قراءة في سياسة عثمان بن عفان

خلال السنة الأولى من ولايته اتبع عثمان سياسة سابقه عمر سواء فيما يخص إبقاء الولاة في ولاياتهم، أو السير على نهج العدالة في أمور المسلمين، إلا أن هذا الأسلوب سرعان ما تغير، حيث عزل الخليفة الجديد جميع عمال العهد السابق، ومنهم الوليد بن عقبة عامله على الكوفة، وسعيد بن العاص الذي تولاها من بعده، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح عامل على مصر، وعين مكانهم عمالا من بني أمية.

لقد كان لتصرف هؤلاء العمال المعزولين أثر كبير في إثارة عوامل السخط في الأمصار الإسلامية وتصاعد حملة المعارضة ضد خلافة عثمان، فقد عبروا عن استيائهم من تسلط قريش والامتيازات التي حصلت عليها واستبداد رجالها بأموال السواد في العراق.

أضف إلى ذلك أنه أغدق الهبات والعطايا والأموال الكثيرة على الناس وخصوصا على قرابته وأهل بيته، حيث تشير المصادر إلى كثرة ما أعطاه لطلحة والزبير وغيرهما من بني أمية، وفي هذا الصدد يذكر أنه أرجع الحكم بن أبي العاص إلى المدينة بعدما طرده منها الرسول ﷺ ووصله بمائة ألف درهم، ونصب ابنه الحارث على سوق المدينة، ووصله بمال كثير، ويرى المؤرخ المسعودي أن إقبال عمال عثمان وكثير من

أهل عصره على الترف يعود إلى أن عثمان كان في غاية الجود والكرم والسماحة والبذل في القريب والبعيد، فسلك عماله وكثير من أهل عصره هذا المسلك، وهو أمر لم يألفه المسلمون في عهد أبي بكر وعمر فأنكروا عليه ذلك وانتقدوا سكوته عن كبار الصحابة الذين ابتنوا القصور، وتذكر المصادر أن كبار الصحابة في عهد عثمان أصبحوا طلقاء في الأمصار يملكون الضياع ويتصرفون فيها كيف شاؤوا[٩]، وكان لهذه الأفعال وقع شديد على نفوس عموم الصحابة وعامة المسلمين.

ومن بين الأمور التي تساهل الخليفة عثمان فيها، ولم يأخذ الناس بالذي كان يأخذهم به عمر بن الخطاب من الشدة والحزم، انسياح الناس في البلاد وتفرقهم في الأمصار، وابتناؤهم الأراضي وتوزيعهم الخطط، وهذا الأمر كان قد حسم فيه عمر حيث منعهم من ذلك خوفا من استقطابهم للناس وتشكيلهم مراكز نفوذ سياسي في تلك المناطق وما ينتج عن ذلك من سلبيات على استقرار الدولة الإسلامية، وقد تحدث الطبري على ذلك فقال: "كان عمر بن الخطاب قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلا بإذن وأجل، فشكوه فبلغه، فقال:... ألا وإن قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده، ألا فأما وابن الخطاب حي فلا ، إني قائم دون شعب الحرة، آخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا في النار...

فلما ولي عثمان لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر، فانساحوا في البلاد، فلما رأوها ورأوا الدنيا، ورآهم الناس، انقطع إليهم من لم يكن له طول ولا مزية في الإسلام، فكان مغموما في الناس، وصاروا أوزاعا إليهم وأملوهم، وتقدّموا في ذلك فقالوا: يملكون فنكون قد عرفناهم، وتقدّمنا في التقرب والانقطاع إليهم، فكان ذلك أول وهنٍ دخل على الإسلام، وأول فتنة كانت في العامة ليس إلا ذلك"[١٠].

من القرارات التي اتخذها الخليفة عثمان، وكان لها أثر سلبي، ما أصدره سنة ٣٠هـ من الترخيص للأشخاص ببيع ممتلكاتهم في الأقاليم البعيدة، وشراء أراضٍ في المناطق التي يقطنون بها، لتخفيف الضغط والهجرة إلى الأقاليم المملوءة، وقد استغل كبار الصحابة وأثرياء الناس عموما هذا الأمر، وباعوا أراضيهم البعيدة واشتروا في مقابلها أراضي بالمناطق التي يقطنون بها، وبذلك تكونت الملكيات الكبرى لصالح طلحة والزبير ومروان بن الحكم وعبد الرحمان بن عوف وغيرهم من الأغنياء، وغني عن القول أن استفحال الثروات بهذا الشكل أسفر عن مجتمع تسوده الطبقية بشكل كبير لدرجة أن عددا من الباحثين المحدثين يذهبون إلى أن المسألة الزراعية كانت السبب الرئيس للثورة التي قامت ضد عثمان، وفي هذا الإطار أيضا يذهب هؤلاء الدارسون إلى القول بأن عصر عثمان طبعه الإقطاع، وذلك استنادا إلى الإشارات الواردة بالمصادر القديمة، ونذكر منها المسعدوي والبلاذري الذين قالوا بأن عثمان أول من أقطع القطائع، بل ذهب البلاذري إلى أن عثمان أقطع الصوافي[١١] التي أقطعها عمر في العراق للناس، حيث أورد في فتوح البلدان أن "أول من أقطع العراق عثمان بن عفان. أقطع قطائع من صوافي كسرى وما كان من أرض الجالية. فأقطع طلحة النشاستج وأقطع وائل بن حجر الحضرمي ما والى زرارة، وأقطع

خباب بن الأرث استينيا، وأقطع عدي بن حاتم الطائي الروحاء، وأقطع خالد بن عرفطة أرضا عند حمام أعين، وأقطع الأشعث بن قيس الكندي طيزناباذ، وأقطع جرير بن عبد الله البجلي أرضه على شاطئ الفرات"[١٢]، ولابد من الإشارة إلى أن هذه الصيغ الواردة الذكر تعني أن عثمان هو أول من سن سياسة الإقطاع في الإسلام، لكن الثابت تاريخيا أن هذه السياسة كانت موضوعة على عهد الرسول ﷺ[١٣]، وبقيت في عهد الخليفتين قبله، إلا أنه يبدو أن عثمان سار في هذا الباب على غير المألوف في السابق، فتوسع في منح الإقطاعات لقرابته ومن ثم جاءت المصادر بهذه الأحكام لوصف هذه السياسة، ومن الأمثلة الأخرى للسياسة الإقطاعية التي انتهجها عثمان، نذكر إقطاع عثمان بن أبي العاص الثقفي ألف حريب (مساحة من الأرض تساوي ١٣٦٦ متر) وكذلك تخويله صوافي الشام[١٤]، وهذه السياسة الإقطاعية هي التي أدت إلى انتشار الملكيات الكبرى لدى الصحابة، وأدت إلى الثورة، وقد ذكر البلاذري أن سعيد بن العاص عامل عثمان على الكوفة كان يقول: "إنما السواد[١٥] بستان لقريش"، فتصدى له الأشتر بن مدحج الهمداني بقوله: "السواد الذي أفاء الله علينا بأسيافنا تزعم أنه بستان لك ولقومك"، وفي قول أنه عبر عن اشمئزازه بقوله: "أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستانا لك ولقومك"[١٦]، وهذا التصور الذي كان لدى الخليفة في المركز هو نفسه الذي كان لعماله في الأمصار، وهكذا ثار أهل الكوفة على سعيد بن العاص وأخرجوه منها[١٧] واختاروا أبا موسى الأشعري، وبذلك كانت الكوفة أول الأمصار التي رفعت علم الثورة ضد عثمان، ومن بين العوامل التي زادت في إثارة الناس ضده هو أن الحمى[١٨] في عصره أصبح يقرب من حمى الشخص ويذكر بما كان في العصر الجاهلي، ومعلوم أنها كانت في عصر الرسول ﷺ وفي عهد الخليفتين بعده تستغل مرعى لإبل الصدقة والخيل المعدة للجهاد ومواشي الفقراء، لكن هذا الأمر تغير زمن عثمان فكان ذلك من الأمور التي عابه عليها ثوار مصر عندما قدموا المدينة.

وتذكر المصادر أن التجاوزات التي حدثت لصالح بني أمية أحيا بها عثمان العصبية التي كانت في العصر الجاهلي، ومعلوم أن هذا ما كان يتخوف منه عمر عندما نهر قرابته من بني عدي، بل يذكر أيضا أنه حذّر عثمان من حمل بني أمية وبني معيط على رقاب الناس، لكن عثمان عين الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وهو أخوه من أمه، عاملا على الكوفة قبل أن يولي عليها سعيد بن العاص، وكان أهل الكوفة شهدوا على الوليد أنه شرب الخمر، فأقام عثمان الحد عليه وأفتى علي بن أبي طالب فأفتى بجلده أربعين جلدة.

وقد أثارت هذه التجاوزات المسلمين على مختلف طبقاتهم ومن بينهم الصحابة، ونذكر منهم عبادة بن الصامت وأبو ذر الغفاري، حيث قام الرجلان بالشام بمناهضة مظاهر الترف التي عرفها المجتمع آنذاك، وما صاحب ذلك من معاملات ربوية حتى إن معاوية ضاق بهما ذرعا وأرسلهما إلى المدينة عند عثمان، وكان مصير أبي ذر النفي إلى الربذة وهي إحدى قرى نجد، وبقي فيها إلى أن توفي، وكان من أبرز

المحتجين على عثمان أيضا عمار بن ياسر بالمدينة المنورة. ولم يقف الحد عند مركز الدولة الإسلامية أو منطقة الشام، وإنما اجتاح التذمر مختلف الأطراف نتيجة الشطط الذي أضحى سيرة للعمال هناك وعدم مبالاة عثمان بشؤون المتظلمين، ومن ذلك، الاستياء العام للمصريين من عاملهم ابن أبي سرح.

قراءة في أحداث الثورة على الخليفة عثمان بن عفان

أدت مختلف الأسباب التي سقناها سابقا إلى وفود الثوار والمعارضين على المدينة، حيث بدأت مجموعاتهم تفد على عاصمة الدولة الإسلامية في شوال سنة ٣٥هـ من مصر والكوفة والبصرة بحجة أداء العمرة، فنزلوا المدينة وشرعوا بمحاصرتها في حين لزم أهلها بيوتهم، وكان وفد مصر يتألف من ٥٠٠ رجل وقيل من ألف رجل، كما خرج وفد البصرة والكوفة بمثل هذا العدد.

تمت محاصرة منزل عثمان بقيادة مُحَمَّد بن أبي بكر، وطالبوه بالتخلي عن الخلافة، وكان وفد مصر أشدهم على عثمان، فتوسط علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بين وفد مصر وبين عثمان الذي استجاب لطلبهم بعزل عبد الله بن سعد وتولية مُحَمَّد بن أبي بكر، وكتب لهم بذلك عهدا، وعادوا إلى مصر مع ثلاثين من المهاجرين والأنصار ليقفوا على ما سيحدث بينهم وبين عبد الله بن سعد هناك، فلما أصبحوا على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة شاهدوا غلاما راكبا بعيرا يغدو في السير فارتابوا منه واستوقفوه، فلما فتشوه وجدوا معه كتابا موجها من عثمان إلى عامله في مصر عبد الله بن سعد تضمن ما يلي: "إذا أتاك مُحَمَّد بن أبي بكر وفلان وفلان فاقتلهم وأبطل كتابهم وقر على عملك حتى يأتيك رأيي"[١٩].

فعاد الوفد إلى المدينة غاضبا، وقرأوا الكتاب على مسمع ومرأى من أهل المدينة والصحابة، فأقسم عثمان بالله أنه لا يعلم بأمر الكتاب الذي ختم بخاتمه، ويرى بعض المؤرخين أن مروان بن الحكم كاتب عثمان هو الذي كتبه وختمه بخاتم الخليفة.

شددت وفود المعارضين حصارها حول دار عثمان ومنعوه من الخروج، وقطعوا عنه الماء اكرروا مطالبته له بالتنازل عن الخلافة فأبى، وقال: "لا أنزع قميصا ألبسنيه الله، ولكني أتوب وأنزع قالوا: لو كان هذا أول ذنب تبت منه قبلنا ولكنا رأيناك تتوب ثم تعود، ولسنا منصرفين حتى نخلعك، أو نقتلك، أو تلحق أرواحنا بالله تعالى، وإن منعك أصحابك وأهلك قاتلناهم حتى نخلص إليك. فقال: أما أن أتبرأ من خلافة الله فالقتل أحب إلي من ذلك، وأما قولكم تقاتلون من منعني فإني لا آمر أحدا بقتالكم فمن قاتلكم بغير أمري قاتل، ولو أردت قتالكم لكتبت إلى الأجناد فقدموا علي أو لحقت ببعض أطرافي"[٢٠].

من خلال استقراء ما ورد في هذه الرواية، يمكن تسجيل الآتي:

– اعتراف عثمان بن عفان بالأخطاء التي شابت سياسته ورغبته بالرجوع عنها، مع رفضه التنازل عن الخلافة.

– تناقض بعض ما جاء في هذه الرواية بخصوص عدم رغبة عثمان في قتال هؤلاء الثوار أو طلب النجدات مع ما ذكره ابن الأثير نفسه الذي أخبرنا أن عثمان "كتب.. إلى أهل الأمصار يستنجدهم

ويأمرهم بالحث للمنع عنه، ويعرفهم ما الناس فيه، فخرج أهل الأمصار على الصعب والذلول، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري، وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حديج، وخرج من الكوفة القعقاع بن عمر، وقام نفر بالكوفة يحضون على إعانة أهل المدينة... وقام بالبصرة عمران بن حصين وأنس بن مالك... وغيرهم من الصحابة، ومن التابعين كعب بن سور، وقام بالشام جماعة من الصحابة والتابعين وكذاك بمصر"[٢١]. ويتضح من هنا أن أهل الأمصار لم يكونوا جميعهم ساخطين على عثمان أو أنهم كانوا يرون رأي المعارضين لسيا سته، فأهل الشام مثلا لم يكن بينهم من يعارض عثمان، فعندما التقى الخليفة عثمان عمالَ الأمصار لاستفسارهم عن حقيقة الأوضاع في أمصارهم وما أشيع عن مساوئ العمال وسوء سياستهم في الناس، حيث أنكروا ذلك مؤكدين أن هذه الأخبار هدفها الفتنة، طلب عثمان منهم النصيحة فقال معاوية بن أبي سفيان والي الشام: "قد وليتني فوليت قوما ولا يأتيك عنهم إلا الخير... والرأي حسن الأدب"[٢٢].

ومما ذكره الطبري أن عثمان كتب إلى معاوية في الشام وعبد الله بن عامر في البصرة يدعوهما إلى نصرته إلا أن معاوية لم يبادر بالخروج لنجدة عثمان مدعيا أنه لا يريد إظهار خروجه على ما أجمع عليه الصحابة. وفيما يلي نص الطبري: "فلما رأى عثمان ما قد نزل به، وما قد انبعث عليه الناس، كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام: بسم الله الرحمان الرحيم، أما بعد، فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة، ونكثوا البيعة، فابعث إ لي من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول.

فلما جاء معاوية الكتاب تربص به، وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ، وقد علم اجتماعهم، فلما أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد بن كُرز، وإلى أهل الشام يستنفرهم ويعظّم حقّه عليهم... فإ ن كان عندكم غياث فالعجل العجل، فإن القوم معاجليَّ، فلما قرئ كتابه عليهم قام يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري... وحضهم على نصره، وأمرهم بالمسير إليه. فتابعه ناس كثير، وساروا معه حتى إذا كانوا بوادي القرى، بلغهم قتل عثمان ﷺ، فرجعوا"[٢٣].

وإذا ما قارنا نص الطبري بنص ابن الأثير سنلاحظ تضاربا في المعلومة فيما يخص دعم معاوية العسكري لعثمان، فالمؤرخ الأول يخبر أن معاوية لم يهب لنجدة عثمان في حين يذكر ابن الأثير أن معاوية بعث حبيب بن مسلمة الفهري.

أما أهل البصرة فقد لبوا النداء وخرج عدد كبير منهم بقيادة مجاشع بن مسعود، فلما كان بالربذة أتاه خبر مقتل عثمان فعاد أدراجه، كما أن يزيد القسري نهض لنجدة الخليفة فيمن تبعه من أهل الشام، فلما كان بوادي القرى بلغه مقتل عثمان فعاد إلى الشام[٢٤].

وتجدر الإشارة إلى أن هناك من الشخصيات السياسية من توقع حدوث ما حدث بل وقدم نصائحه لعثمان في هذا الشأن، ولعل من أبرز هؤلاء معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، ولا عجب في ذلك فهما من دهاة العرب والمسلمين وفطنتهم السياسية أمر لا يجادل فيه أحد من الدارسين لتاريخ

الإسلام، حيث ذكر ابن الأثير أن معاوية قال لعثمان: "اخرج معي إلى الشام فإنهم على الطاعة قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به. فقال: لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء وإن كان فيه خبط عنقي قال: إن بعثت إليك جندا منهم يقيم معك لنائبة إن نابت؟ قال: لا أضيق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال والله لتغتالنَّ ولتغزينَّ. فقال: حسبي الله ونعم الوكيل"[٢٥].

وحدث قبل ذلك عند اللقاء المذكور بين عثمان وعماله أن نصح عمرو بن العاص الخليفة قائلا: "أرى أنك قد لنتَ لهم، ورخيتَ عليهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر، فأرى أن ترزم طريقة صاحبيك (يعني أبا بكر وعَمر) فتشتد في موضع الشدة وتلين في موضع اللين"[٢٦].

هل كانت الفتنة من تدبير اليهود والمنافقين؟

يذهب بعض الدارسين إلى تبني نظرية المؤامرة في تفسير الفتنة، ويرون أن هناك أياد خفية كانت وراء كل هذه الأحداث، ويستدلون على ذلك بدور بعض الشخصيات لعل أبرزها عبد الله بن سبأ، ومن ذلك ما أورده الطبري وابن الأثير: "قيل في هذه السنة (٣٥هـ) كان مسير من سار من أهل مصر إلى ذي خشب (واد على مسيرة ليلة من المدينة وقيل: جبل)، ومسير من سار من أهل العراق إلى ذي المروة، وكان سبب ذلك أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا من أهل صنعاء أمه سوداء وأسلم أيام عثمان ثم تنقل في الحجاز ثم بالبصرة ثم بالكوفة ثم بالشام يريد إضلال الناس فلم يقدر منهم على ذلك فأخرجه أهل الشام، فأتى مصر فأقام فيهم وقال لهم: ''العجب ممن يصدّق أنّ عيسى يرجع ويكذّب أنّ مُحَمَّدا يرجع وقد قال الله عز وجل: (إن الذي فرض عليك القرآن لرادُّك إلى معاد) مُحَمَّد أحق بالرجوع من عيسى''. فوضع لهم الرجعة فقبلت منه.

ثم قال لهم بعد ذلك: '' إنه كان لكل نبي وصي، وعلي وصي مُحَمَّد، فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصيه! وإن عثمان أخذها بغير حق، فانهضوا في هذا الأمر وابدؤوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس''. وبث دعاته، وكاتب من استفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وصاروا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيب ولاتهم، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا بذلك الأرض إذاعة فيقول أهل كل مصر: "إنا لفي عافية مما فيه هؤلاء" إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا إنا لفي عافية مما فيه الناس فأتوا عثمان فقالوا: يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذي يأتينا؟ فقال لا والله ما جاءني إلا السلامة وأنتم شركائي وشهود المؤمنين"[٢٧].

في حين ينفي بعض الباحثين الذين تناولوا موضوع الفتنة وجود شخصية عبد الله بن سبأ من الأساس، ومن أبرز هؤلاء الدكتور طه حسين[٢٨].

ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف، فإننا نرى أن هناك عوامل موضوعية أدت إلى الثورة ضد عثمان ووقوع الفتنة بغض النظر عن وجود دور للمنافقين وأصحاب الغرض والشائعات والأضاليل من عدمه.

لقد أخذ الثوار على عثمان ﷺ النقاط الآتية:

– استعماله للأحداث مثل عبد الله بن عامر الذي استعمله على البصرة وعمره ٢٥ سنة، فكان رد فعل عثمان أن هذا ليس عيبا بدليل أن الرسول ﷺ جعل أسامة على رأس جيش كبير وأمره بالتوجه إلى الشام رغم أن هذا الجيش كان فيه كبار الصحابة أمثال أبي بكر وعمر.

– أخذوا عليه تفضيل أقاربه وتوليتهم المناصب، فذكر لهم أيضا أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يفضل قريشا خاصة وبني هاشم منهم، بل ذهب إلى القولة التالية: "لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها لبني أمية حتى يدخلوها".

– أخذوا عليه إعطاء خمس افريقية لمروان بن الحكم.

– طلبوا منه أن يعزل العمال الذين استعملهم، فلم يرقه هذا وأجابهم بلهجة قاسية فقال: "الأمر إذن أمركم"، وكانت هذه الردود هي التي زادت من حنق هؤلاء وجعلتهم لا يتراجعون عن الهدف الذي أتوا من أجله حتى بلغوه وهو قتل عثمان ﷺ.

ومهما يكن من أمر، فإن المتمعن في عهد عثمان مقارنة بعهد النبي والخليفتين أبي بكر وعمر سيلحظ توسعا لافتا في سياسة الإقطاع وفي تولية أقارب الخليفة وازديادا في الفوارق الاجتماعية واتساعا في الملكيات الكبرى وفي إثراء عدد من الصحابة.

خاتمة

كانت سياسة عثمان بن عفان من بين العوامل المسؤولة عن حدوث الفتنة، وبغض النظر عن وجود دور حقيقي لليهود والمنافقين، فإن هناك ظروفا وأسبابا موضوعية أدت إلى وقوع هذه الفتنة والتي عكست أحداثها ونتائجها التحول الذي عرفه نموذج السلطة والحكم من نموذج يستند إلى أسس الشرعية الدينية إلى نموذج يعتمد البراغماتية السياسية.

إن كان فعل البغاة بقتل الخليفة عثمان بن عفان أمرا غير مشروع، فإن ذلك مؤشر على عدم نجاح جماعة المسلمين – منذ عهد أبي بكر الصديق – في تأسيس نظام حكم ذي مبادئ وآليات واضحة ومحددة ومتوافق بشأنها تخص اختيار الخليفة ومراقبته والاحتجاج عليه في حال وقوع أي انحراف.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International Licence.

الهوامش:

١- يشار هنا إلى غياب طلحة بن عبيد الله عن اللقاء والحوار.

Yushāru hunā ilā ghiyābi Ṭalḥah ibn ʿUbayd Allāh ʿan al-liqāʾ wa-al-ḥiwār.

٢- الطبري، مُحَمَّد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٩٧٠، ص ٢٣١.

al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr, Tārīkh al-Rusul wa-al-Mulūk, j. 4, taḥqīq Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Dār al-Maʿārif, 1970, ṣ. 231.

٣- نفسه، ص ٢٣١.

ibid, ṣ. 231

٤- ينظر في هذا الشأن: زكار، سهيل، تاريخ العرب والإسلام منذ ما قبل المبعث وحتى سقوط بغداد، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٩٧٩، ص ٩١.

Yunẓaru fī hādhā al-shaʾn: Zakkār, Suhayl, Tārīkh al-ʿArab wa-al-Islām mundhu mā qabl al-mabʿath wa-ḥattā suqūṭ Baghdād, Dār al-Fikr, Bayrūt, ṭ. 3, 1979, ṣ. 91.

٥- الطبري، مُحَمَّد بن جرير، تاريخ الطبري، ج ٤، المصدر السابق، ص ٢٣٢ – ٢٣٣.

al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr, Tārīkh al-Ṭabarī, j. 4, al-maṣdar al-sābiq, ṣ. 232–233

٦- نفسه، ج ٤، ص ٢٣٣.

ibid, j. 4, ṣ. 233.

٧- نفسه، ج ٤، ص ٢٣٨ – ٢٣٩.

ibid, j. 4, ṣ. 238–239.

٨- نفسه، ج ٤، ص ٢٣٣.

ibid, j. 4, ṣ. 233

٩- ينظر في موضوع ثروة عدد من الصحابة مثل الزبير وطلحة وابن عوف وغيرهم: المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، اعتنى به وراجعه كمال حسن علي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٢٦٢ – ٢٦٣.

Yunẓaru fī mawḍūʿ tharwat ʿadad min al-ṣaḥābah mithla al-Zubayr wa-Ṭalḥah wa-Ibn ʿAwf wa-ghayrihim: al-Masʿūdī, Abū al-Ḥasan ʿAlī ibn al-Ḥusayn, Murūj al-Dhahab wa-Maʿādin al-Jawhar, j. 2, iʿtanā bihi wa-rājaʿahu Kamāl Ḥasan ʿAlī, al-Maktabah al-ʿAṣriyyah, Ṣaydā Bayrūt, ṭ. 1, 2005, ṣ. 262–263.

١٠- الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤، المصدر السابق، ص ٣٩٦ – ٣٩٧.

al-Ṭabarī, Tārīkh al-Ṭabarī, j. 4, al-maṣdar al-sābiq, ṣ. 396–397.

١١- هي كل الأراضي التي كانت في ملكية كسرى وآل بيته بالعراق.

Hiya kull al-arāḍī allatī kānat fī milkiyyat Kisrā wa-āl baytihi bi-al-ʿIrāq.

١٢- البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، ج ٢، المصدر السابق، ص ٣٣٥ – ٣٣٦.

al-Balādhurī, Aḥmad ibn Yaḥyā, Futūḥ al-Buldān, j. 2, al-maṣdar al-sābiq, ṣ. 335-33

١٣- مثل الأرض التي أقطعها الرسول الأكرم لبلال بن الحارث بالمدينة المنورة.

Mithla al-arḍ allatī aqṭaʿahā al-Rasūl al-Akram li-Bilāl ibn al-Ḥārith bi-al-Madīnah al-Munawwarah.

١٤- أراضي في ملك بيزنطة.

Arāḍin fī milkiyya Bizanṭah

١٥- السواد: هو المنطقة المحصورة بين دجلة والفرات، وسماه العرب سوادا لأنه كثير الخضرة.

al-Sawād: huwa al-manṭiqah al-maḥṣūrah bayna Dijlah wa-al-Furāt, wa-sammāhu al-ʿArab sawādan li-annahu kathīr al-khuḍrah.

١٦- البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، ج ٥، حققه وعلق عليه الشيخ محمد باقر المحمودي، Orient Institut, Beirut، ١٩٧٩، ص ٥٢٩.

al-Balādhurī, Aḥmad ibn Yaḥyā, Ansāb al-Ashrāf, j. 5, ḥaqqaqahu wa-ʿallaqa ʿalayhi al-Shaykh Muḥammad Bāqir al-Maḥmūdī, Orient Institut, Beirut, 1979, ṣ. 529.

١٧- نفسه، ص ٤٣١.

ibid, ṣ. 431.

١٨- أراضي يحميها شيخ القبيلة للتصرف فيها وحده دون غيره.

Arāḍin yaḥmīhā shaykh al-qabīlah li-al-taṣarruf fīhā waḥdahu dūna ghayrihi.

١٩- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، ج ١، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط ١، ١٩٩٠، ص ٥٦.

Ibn Qutaybah al-Dīnūrī, Abū Muḥammad ʿAbd Allāh ibn Muslim, al-Imāmah wa-al-Siyāsah al-maʿrūf bi-Tārīkh al-Khulafāʾ, j. 1, taḥqīq ʿAlī Shīrī, Dār al-Aḍwāʾ, Bayrūt, ṭ. 1, 1990, ṣ. 56.

٢٠- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، ج ٣، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٧، ص ٦٠ – ٦١.

Ibn al-Athīr, Abū al-Ḥasan ʿAlī ibn Muḥammad, al-Kāmil fī al-Tārīkh, j. 3, taḥqīq Abū al-Fidāʾ ʿAbd Allāh al-Qāḍī, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Bayrūt, ṭ. 1, 1987, ṣ. 60-61.

[٢١]– نفسه، ج ٣، ص ٥٢.

ibid, j. 3, ṣ. 52.

[٢٢]– نفسه، ج ٣، ص ٤٧.

ibid, j. 3, ṣ. 47.

[٢٣]– الطبري، مُحَمَّد بن جرير، تاريخ الطبري، ج ٤، المصدر السابق، ص ٣٦٨.

al–Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr, Tārīkh al–Ṭabarī, j. 4, al–maṣdar al–sābiq, ṣ. 368.

[٢٤]– نفسه، ج ٤، ص ٣٦٨ – ٣٦٩.

ibid, j. 4, ṣ. 368–369.

[٢٥]– ابن الأثير، أبو الحسن علي بن مُحَمَّد، الكامل في التاريخ، ج ٣، المصدر السابق، ص ٥٠.

Ibn al–Athīr, Abū al–Ḥasan ʿAlī ibn Muḥammad, al–Kāmil fī al–Tārīkh, j. 3, al–maṣdar al–sābiq, ṣ. 50.

[٢٦]– نفسه، ج ٣، ص ٤٧.

ibid, j. 3, ṣ. 47.

[٢٧]– نفسه، ج ٣، ص ٤٦ – ٤٧.

ibid, j. 3, ṣ. 46–47.

[٢٨]– ينظر في هذا الشأن: حسين، طه، الفتنة الكبرى، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٣.

Yunẓaru fī hādhā al–shaʾn: Ḥusayn, Ṭāhā, al–Fitnah al–Kubrā, Muʾassasat Hindāwī, al–Qāhirah, 2013.